

التوجهات النظرية لبناء الحقائق الاجتماعية وسياق الدراسات الاتصالية قراءة معرفية حول مواقع الشبكات الاجتماعية

THEORETICAL APPROACHES TO BUILDING SOCIAL FACTS AND CONTEXT OF COMMUNICATION STUDIES

KNOWLEDGE STUDY ON SOCIAL NETWORKING SITES

حميدة نواصرية، جامعة الجزائر3، الجزائر

Hamida Nouasria, University of Algiers 3, Algeria

hamida.nouasria@gmail.com

تاريخ النشر: 2018/09/30

تاريخ القبول: 2018/09/25

تاريخ الإرسال: 2018/08/24

ملخص

في ظل تطور وسائل الإعلام وسيطرت الانترنت على العالم، تعددت البحوث الإعلامية وتنوعت لدراسة الظاهرة الإعلامية بمختلف جوانبها، وتهدف هذه الورقة البحثية إلى صياغة بعض المفاهيم النظرية والبحثية لبناء الحقائق الاجتماعية كونه حقل جديد في البحوث والإعلامية ينبغي لفت انتباه الباحثين والمختصين إليه، وكذا موقعها ضمن البحوث الإعلامية والدراسات المتعلقة بمواقع الشبكات الاجتماعية والميديا، وذلك من خلال دراسة وقراءة معرفية لمجموعة من التوجهات والأفكار لباحثين أمثال جون سيرل، توماس لوكمان وبيتر برقر، غير مغفلين للتطور البناء الاجتماعي، وكذا الدراسات الاتصالية وعلاقتها بالحقائق الاجتماعية، خاصة في ظل ظهور المجتمعات الافتراضية وكيفية تشكل المعاني لدى المستخدمين.

الكلمات المفتاحية: *بناء الحقائق الاجتماعية، بناء المعاني، شيرل بيرقر، توماس لوكمان، جون سيرل، المجتمعات الافتراضية.*

Abstract

*In light of the development of the media and took control of the Internet on the world, there have been numerous media research and diversified to study the phenomenon of media in various aspects , the research paper aims to formulate some **theoretical and research concepts to Building social realities** a new field in research and information should draw the attention of researchers and specialists, as well as its position in research Media and studies related to social networking sites and media, through the study and reading knowledge of a set of trends and ideas for researchers such as John Searle, Thomas Lukman and Peter Berger, as well as the development of social facts, And their relation to social realities, especially in light of the emergence of virtual societies and how the meanings of users.*

Keywords: Building social realities, Building Meanings, Peter Berger, Thomas Lachman, John Searle, Virtual Communities.

مقدمة

يقول الدكتور حسن عماد مكاوي في كتابه نظريات الاتصال، "إن كل ما يأتي من العالم الخارجي ومع الاحتكاك مع أناس آخرين ومن مجتمعات مختلفة، يؤدي بالفرد إلى خلق معاني مشتركة فيما بين الأشخاص، وبالتالي يبني معاني وواقعا اجتماعيا جراء ذلك الاحتكاك فكل ما يصادف الفرد في حياته من تجربة وتعلم، يعتبر بالنسبة إليه معلومات وأفكار يحاول أن ينسبها إلى عالمه المادي وينشئ بذلك المعاني والألفاظ واللغات"، إن أهمية الاتفاق على المعاني هي مسألة فردية واجتماعية معا، ذلك أن معرفة العالم الذي نعيش فيه لا يعتمد فقط على ما نلمسه بحواسنا وغنما بما اتفقنا عليه مع الآخرين حول المعاني المشتركة عن العالم الخارجي حولنا، فكل ما يأتي من العالم الخارجي ومع الاحتكاك مع أناس آخرين ومن مجتمعات مختلفة يردي بالفرد إلى خلق معاني مشتركة فيما بين الأشخاص وبالتالي يبني معاني وواقعا اجتماعيا جراء ذلك الاحتكاك فكل ما يصادفه الفرد في حياته من تجربة وتعلم يعتبر بالنسبة إليه معلومات وأفكار يحاول أن ينسبها إلى عالمه المادي وينشئ بذلك المعاني والألفاظ واللغات... وغيرها، ويشير الباحثون في العصر الحديث الفكرة على أنها البناء الاجتماعي للواقع، فهناك من يعتقد أن ما يراه أو يشاهد أو يتعلمه هو الواقع بنفسه، فكل ما يتعلمه الإنسان يتأثر فيه بدرجة متفاوتة من شخص لآخر، وتوجد في العالم المادي العديد من المعاني والعادات ليس لها علاقة بالواقع أو الحقيقة مثل "الأشباح، مثلث،..." فالناس لديهم معاني داخلية لهذه الأفكار بغض النظر عن ارتباطها بالواقع، وسنحاول قراءة بعض المفاهيم والأطر النظرية حول بناء الحقائق الاجتماعية، وتطورها ضمن البحوث الإعلامية وصولا إلى بناء المعاني لدى المجتمعات الافتراضية.

1. البناء الاجتماعي وتطوره :

كانت وسائل الاتصال ولا تزال تشكل إحدى العمليات المركزية التي يحصل الناس عن طريقها على فهم ذاتي للحقيقة الموضوعية، إن هذه العملية تظل موضوعا للدراسة غير محدد بوقت معين، ومع تزايد هذه الوسائل وتطورها وظهور مواقع الشبكات الاجتماعية التي انتشرت على نطاق واسع وفي فترة زمنية محددة وتأثيره في حياة الأفراد يصبح بالتالي الدور الذي تلعبه هذه الوسائل في بناء الواقع الاجتماعي أكثر أهمية، فالفرد أصبح في يومنا هذا يستخدم التكنولوجيا الحديثة بشكل كبير، فهو يستطيع أن يسيرها دون أن يتحصل على دورات تكوينية، فتجده أمام جهاز الكمبيوتر أو الأجهزة الإلكترونية الأخرى يسيرها بكل حرية دون عقد أو خوف وهو في سن صغيرة، كما أن هذه الوسائل الحديثة وفي مقدمتها الانترنت استحوذت على اهتمام وانشغال العديد من الفئات في العالم وعلى الخصوص فئة الشباب وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتهم اليومية، ولا نبالغ اليوم إذا أطلقنا على الجيل الحالي جيل الانترنت وخاصة أن الانترنت فتحت لهم العديد من النوافذ وتصفح المواقع بكل حرية.

تشير الإحصائيات بأن هذه الفئة تزايد يوما بعد يوم، فهي تتأثر في الحين بكل ما هو جديد في الانترنت وتنشأ علاقات اجتماعية افتراضية وتتفاعل مع المحتويات المتاحة، من الدردشة والفيس بوك والمحاوره

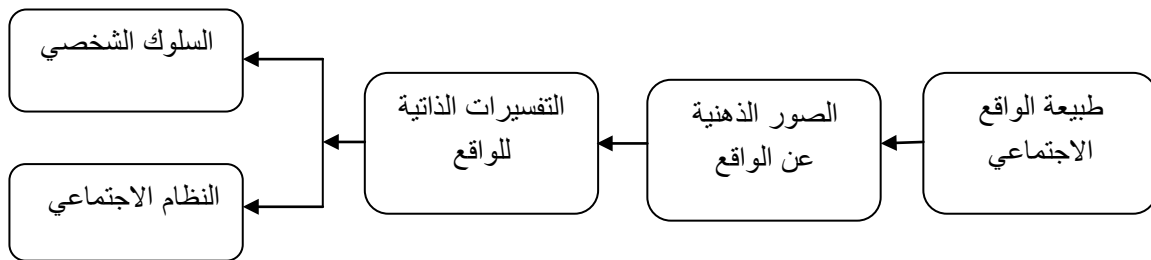
الهاتفية "skype" إلى غيرها من الشبكات الاجتماعية التي يجد فيها راحته، وتجذبه بكل ما لديها من مضامين متنوعة.

إن الاهتمام بموضوع بناء الواقع أو الحقيقة الاجتماعية ليس وليد اليوم وإنما يعود ظهوره إلى الدراسات الأولى في البحث عن المعنى ودلالاته.

غير أن البحث عن التعريف والمعنى اتخذ البحث في الوقت الراهن طرقاً أخرى عديدة وخصوصاً في ميادين العلوم المختلفة، فالمفاهيم هي أساس المعرفة، ونقطة البداية لنظرية الاتصال الإنساني فهي تمثل طريقة انتسابنا للواقع فنحن نهتم بتجاربنا الداخلية الذاتية عن الأشياء وعن الظروف والعلاقات في البيئة الاجتماعية والمادية¹.

وعليه فإن أهمية الاتفاق على المعاني هي مسألة فردية واجتماعية معاً، ذلك أن معرفة العالم الذي نعيش فيه لا يعتمد فقط على ما نلمسه بحواسنا وغنما بما اتفقنا عليه مع الآخرين حول المعاني المشتركة عن العالم الخارجي حولنا، فكل ما يأتي من العالم الخارجي ومع الاحتكاك مع أناس آخرين ومن مجتمعات مختلفة يردي بالفرد إلى خلق معاني مشتركة فيما بين الأشخاص وبالتالي يبني معاني وواقعا اجتماعيا جراء ذلك الاحتكاك فكل ما يصادفه الفرد في حياته من تجربة وتعلم يعتبر بالنسبة إليه معلومات وأفكار يحاول أن ينسبها إلى عالمه المادي وينشئ بذلك المعاني والألفاظ واللغات... وغيرها، ويشير الباحثون في العصر الحديث الفكرة على أنها البناء الاجتماعي للواقع، فهناك من يعتقد أن ما يراه أو يشاهد أو يتعلمه هو الواقع بنفسه، فكل ما يتعلمه الإنسان يتأثر فيه بدرجة متفاوتة من شخص لآخر، وتوجد في العالم المادي العديد من المعاني والعادات ليس لها علاقة بالواقع أو الحقيقة مثل "الأشباح، مثلث...". فالناس لديهم معاني داخلية لهذه الأفكار بغض النظر عن ارتباطها بالواقع.

وهناك مبدأ آخر أمكن إرساءه قديماً وهو أن المعرفة تكون السلوك ويلخص "ديفلر وروكيتش" العلاقة بين الواقع الاجتماعي والمعرفة والسلوك والنظام الاجتماعي في الشكل التالي:



ويلخص "ملفين وروكيتش" هذه العلاقة في النقاط التالية²:

- 1- هناك واقع نعيش فيه ويتضمن هذا الواقع عالم موضوعي من الطبيعة وعالم آخر خارق للطبيعة وهو ما لم يتفق عليه العلماء حتى الآن .

- 2- يكون الأفراد صوراً ذهنية مماثلة للواقع سواء كانت عن طريق الاتصال الشخصي أم وسائل الإعلام.
- 3- يفسر كل فرد الواقع الاجتماعي بطريقة ذاتية يتحكم فيها الخصائص الشخصية والاجتماعية.
- 4- تحدد التفسيرات الذاتية السلوك الشخصي للفرد.
- 5- يتحكم النظام الاجتماعي في نماذج السلوك الشخصي من خلال القيم والمعايير المطلوبة وغير المطلوبة.

فالبناء الاجتماعي هو ذلك الإطار التنظيمي الذي تندرج تحته كافة أوجه السلوك الإنساني، ويتضمن مجموعة من النظم الاجتماعي ذات القواعد السلوكية المستقرة التي تحكم الأنشطة الإنسانية المتعددة في مجتمع ما، بمعنى آخر هو مجموعة الأطر التنظيمية التي تنتظم في إطارها كافة العلاقات البينية بين الأفراد في مجتمع ما وغيره من المجتمعات .

والبناء الاجتماعي هو إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة" التجمعات القائمة على القرابة، الجنس والسن، المصلحة المشتركة والمكانة والمنزلة"، ويمكن أن نقول أيضاً أن البناء الاجتماعي هو تنظيم العلاقات الاجتماعية، ويقرر الباحث "رادكيلف براون" أنه عندما يستخدم مصطلح بناء، فإنه يعني "نوعاً من الترتيب المنظم للأجزاء أو المكونات"، وهكذا فإن البناء الاجتماعي هو تنظيم الأشخاص في علاقات منضبطة ومحددة مؤسساتياً وهو شبكة مركبة من العلاقات الاجتماعية³.

وتعود إذن فكرة البناء الاجتماعي، إلى الدراسات الأنثروبولوجية، وكان حينها يستخدم مصطلح التركيب الاجتماعي والذي يشير إلى العلاقات الاجتماعية الجوهرية، التي تحدد الشكل الأساسي للمجتمع وتبين الطريقة التي بواسطتها تنفذ الأعمال، ويعتقد الباحث "فورتس" أن التركيب الاجتماعي هو ذلك الترتيب المنظم والمتناسق للأجزاء المختلفة التي يتكون منها المجتمع كالمؤسسة، الجماعة والمركز الاجتماعي،... وغيرها، ويرى الباحث "راد كيلف براون" أن البناء الاجتماعي ليس إلا مجموعة من الأنساق الاجتماعية الأنساق بدورها هي الأجهزة أو النظم التي تتفاعل فيما بينها داخل إطار البناء الكلي الشامل ويضيف "راد كيلف" أن علاقة النظم بالبناء علاقة ذات شطرين :

- علاقة النظام بأفراد الجماعة داخل البناء الاجتماعي.
 - علاقة النظام بسائر النظم الأخرى التي تتعلق بالنسق وبالبناء الاجتماعي، ويميز الباحث بين الصورة البنائية والبناء الواقعي، فالصورة البنائية هي الصورة العامة أو السوية لعلاقة العلاقات بعد تجريدها من مختلف الأحداث الجزئية، أما البناء الواقعي فهو البناء من حيث هو حقيقة شخصية وموجودة بالفعل ويمكن ملاحظتها مباشرة، والبناء الواقعي يضيف ويتغير بسرعة واستمرار بعكس الصورة البنائية التي تحتفظ بخصائصها وملامحها الأساسية بدون تغير لفترات طويلة من الزمن وتتمتع بدرجة من الاستقرار والثبات⁴.
- وعليه بدأت المناقشات العلمية المبكرة المنظمة عن التركيب الاجتماعي للواقع، من خلال أفكار قدمها "ألفريد شوتز" حيث كان مفتوناً بما لاحظته من غموض الحياة اليومية، ويتساءل كيف يكون إحساسنا

بالعالم من حولنا بالدرجة التي نستطيع أن نقيم أفعال حياتنا اليومية ونرتبها، وللإجابة على هذا السؤال استخدام الباحث "ألفريد شوتز" النظرية الاجتماعية التي تطورت في أوروبا، وهي النظرية الفينومينولوجية واعتمد على أفكارها، وقد اهتمت النظرية باستخدام الشعور العام في الحصول على تفسيرات تهدف إلى التعرف على واقع الحياة اليومية، وتدعي هذه النظرية أن إمكانياتها تكمن في فلسفة حياة الإنسان في العالم وقدرته على تفسير معاني هذه الحياة العالمية بطريقة علمية صارمة، فالموضوعات التي تهتم بها النظرية الفينومينولوجية، هي شرح الأفعال الواعية وتفسيرها أي يعني هنا تفسير الوقائع والأحداث وتحليل الظواهر الاجتماعية وربطها بالواقع الاجتماعي للفرد.

ويرى الباحث "شوتز" أن الفينومينولوجيا، هي علم النفس الاجتماعي يتم من خلالها تفسير حياة العالم، وهي محاولة لوصف كيف تظهر هذه المعرفة، وكانت أهم فكرة في نظرية المعرفة عند شوتز، هي التمثيل والتنميط Typification، ولذلك يعد التمثيل أمراً ضرورياً من أجل تنظيم الحياة والأفعال التي نصادفها في الحياة وتفسيرها، وقد يحدث التمثيل لسببين أن الإنسان يتعلم من تاريخه، والسبب الآخر أن الإنسان اجتماعي تربطه علاقات اجتماعية سواء بين أفراد أسرته أو محيطه الاجتماعي، وبالتالي فالسببان متداخلان، فالفرد لا يملك خبرة فردية خالصة بل تكتمل مع الخبرات الاجتماعية والمحيط الاجتماعي سواء الأسرة، المدرسة، المؤسسات الإعلامية وغيرها⁵، وما نراه حالياً أن الانترنت أصبحت نافذة يطل عليها جميع الأشخاص ومن مختلف أنحاء العالم، وهي تقوم بتقديم الواقع والحقائق الاجتماعية التي كانت سابقاً حكراً على السلطة، ولكن بفضل المواقع الإلكترونية المتوفرة على الشبكة وخاصة مواقع الشبكات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي "كالفيسبوك، تويتر، واليوتيوب"، وبفضلها أصبح الفرد يرى مجموع من الحقائق والوقائع الاجتماعية، يجمع فيها كل من الصوت والصورة والنص وحتى مواقع التفاعل الاجتماعي، التي يتم في نفس الوقت والزمن بين أشخاص مختلفة من العالم، والتي تؤثر في تشكيل السلوك والبنية الاجتماعية لدى الفرد المستخدم للانترنت، وتساهم في تشكيل معاني معينة لديه.

ويفترض التركيب الاجتماعي أو البناء الاجتماعي للواقع أن الناس يستجيبون للمعاني، عندما يستخدمون الرموز والإشارات، فهي التي تشكل المخزون الاجتماعي للمعرفة، وبواسطتها تحدث التفاعلات بين الناس وبيئاتهم، وقد شملت نظرية قوفمان Goffman، إطاراً لكل من أصحاب نظرية التفاعلات الرمزية ونظرية البناء الاجتماعي للواقع حيث أثبتت أن قدرة الفرد على الاختيار المستمر للأشكال المناسبة لتوجيه إدراكه قد تجعله يشعر بما اكتسبه من خبرات ومعارف.

وعليه فإن بناء الواقع الاجتماعي، هو مجموعة من المعاني الاجتماعية والرموز التي يكتسبها الفرد من خلال احتكاكه مع الآخرين في المجتمع أو المحيط الخارجي، وهذه المعاني تساهم في تشكيل واقع معين كما أن التفاعلات الاجتماعية التي تتم بين الأشخاص عن طريق التواصل فيما بينهم، تخلق أفكاراً وتمثيلات معينة عن الواقع، والتي تجعل البعض يعتقدون أنها حقيقية، فالتطور التكنولوجي الحالي ساهم بشكل واسع في تغيير السلوك والعلاقات الاجتماعية الموجودة في السابق، وباعدت التفاعلات الحقيقية وأصبح الفرد حالياً يغمس

في العالم الافتراضي، ويكون علاقات افتراضية أثرت كثيرا في تصرفاته وتعاملاته مع الآخرين، كما استحوذت الانترنت على فئة مهمة في المجتمع ألا وهي المراهقات، التي تتأثر بكل ما هو جديد وتتفاعل مع الأحداث والتطورات المختلفة في عالم التكنولوجيا، حتى أصبحت تقوم ببناء المعاني وأفكار مختلفة عن تلك الموجودة في المجتمع.

2. بناء الحقيقة الاجتماعية عند كل من بيتر بيرقر وتوماس لكمان،

تعد مساهمة برغر ولوكمان في مجال بناء الحقائق الاجتماعية المنطلق الأساسي لدراستها وتفسير واقع الحياة اليومية لدى الفرد مع إعادة إحياء أعمال الباحث "ألفريد شوتز" في نظريته الفيونمينولوجية والذي عمد على البناء الاجتماعي للحقيقة اليومية.

*شأن الحقيقة تتأني إلينا مؤولة من طرف الأفراد، وهي تخول بالنسبة إليهم شعبي نظري شعبي شكل عالم منسجم*⁶، يفسر الباحثان الكيفية التي من خلالها تتشكل الحقيقة حيث أن الأفراد يؤولون الأفكار والأفعال والتصرفات والتي تشكل معاني ذاتية يحملها كل فرد يعيش في عالم الحياة اليومية وبالتالي تتمثل كلها لتشكل عالم منسجم متناسق متماسك وهذه على الأغلب تشكل الحقيقة الاجتماعية المنسجمة الأفكار والأفعال والتصرفات التي تحمل معاني مختلفة أولها الأفراد عن عالمهم المعاش، فعلاقة الفرد بالجماعة المتصفة بالانسجام المطلق حتى وفي أشد حالات التنافر بينهما تترجم محاولات الإنسان عن الانسجام مع الطبيعة فيسترضها، وبالتالي فهمها كانت المعاني مختلفة إلا أنها تتصف بالانسجام المطلق للواقع الذي يبني بمختلف العمليات الاجتماعية للأفراد.

يؤكد بيتر ولوكمان أن الاتصال مع الآخرين ضرورة لا محالة منها حيث يقول: *"لأنه نعيش في عالم الأعمال وحديثي حين أعلم شيئا أن عالم الحياة اليومية يظهر حقيقيا للآخرين، كما يظهر لي تماما، وبالضبط لا يفكر أن أتواحيشي عالم الحياة اليومية بشؤون تفاعل مع الآخرين أو اتصال ثنائيا معهم*⁷، فالتواجد برأي الباحثان في الحياة اليومية يفرض علينا التفاعل وهذه هي الحقيقة التي يراها كل المتواجدين في عالم الحياة اليومية عكس ما يكون في عالم الأحلام الذي تكون فيه الذوات منفصلة عن بعضها البعض، وبالنظر هنا إلى المراهقات اللاتي هن محور دراستنا فإننا نرى بأنه في عالم الأحلام تنفصل ذواتهم عن الآخرين عكس ما يكون في عالم الحياة اليومية الذي يوجد فيه الاتصال والتفاعل والتبادل فيما بينهم وهن موجودات فعلا في عالم حقيقي يكون اتصالهم فيما بينهم محور أساسي لاستمراره.

ويحلل "بيتر وبرقر" حقيقة الحياة اليومية شأنها تكون حاضرة هيما تبعد كعالم متبادل النوات وكعالم سيتم تقاسمها مع الآخرين ويضيف شأن هذا العالم هو العالم الذي اشترك فيعيش مع الآخرين فعالم الحياة اليومية لا يمكنني التواحيش فيه بشؤون وجود تفاعل واتصال مشترك مع الآخرين وأعلم أن موقفي الطبوعية شحوت هذا العالم تتوافق مع اتجاهات الآخرين⁸، وهنا أراد الباحث أن يشرح واقع الحياة اليومية بين الناس فعالم الحياة اليومية في نظره هو عالم مليء بالتفاعل والاتصال بين الأشخاص وتبادل الذوات والآراء فيما بينهم وهذه سيرة الحياة اليومية، فعالم الحياة اليومية يأتي كعالم يشترك فيه الأفراد مع الآخرين ويكون فيه

التفاعل والاتصال مستمر حيث يتقاسم معهم كل ما هو موجود وبالتالي ذاته تكون في اتصال دائم وتفاعل وتشارك وتقاسم مع الذوات الموجودة في عالم الحياة اليومية.

يدرج أيضا أن: "أفراد المجتمع تصرفاتهم الذاتية المشحونة بواقع حياتهم لا يعتبرون فقط عالم الحياة اليومية كمسطح بمن معطيات الحقيقة بل هو أيضا عالم شحذ أسئلتهم وأفكارهم وأفعالهم التي تثبت هذا العالم كحقيقة، وأن هناك صور متعددة للواقع بمن ضمنها الأفق أو الأشكال غير المجسدة التي تؤثر في الأحلام، وأيضا الواقع النموذجي وهذا هو واقع الحياة اليومية⁹، فالحقيقة الاجتماعية تتمثل في مختلف التصرفات الذاتية والأفكار والأفعال وهذه كلها تحمل معاني وكل الأفعال التي تصدر عن أفراد خاصة المراهقات ما هي إلا معطى من معطيات الحقيقة في العالم الذي نعيشه.

ويفسر كل من بيتر بيرغر وتوماس لوكمان أن الحياة اليومية هي مكانيا وزماني فائتاء المكاني هامشي شحذ بالنسبة إلى اعتباراتنا الراهنة شوله أيضا فوجد اجتماعياتنا ما يتلاءم أكثر مع أغراضنا الراهنة هو الفناء الزمني للحياة اليومية، "توجد الثمان ثقبين أن شوك وشوف يظل موجودا شبعف أن أموت، ومعرفتي بشوتي تجعل الثمن محدودا بالنسبة لي فليدي شقدر شعبن من الثمن لتحقيق مشروحاتي ثوبما ثلثني ش لا شرب أن أموت ثفان هذه المعرفة تشحن مشروحاتي بثلق عميق¹⁰"، فالعالم أو واقع الحياة اليومية مبنية زمانا ومكانيا بنظرهما حيث أن البناء المكاني هامشي لأنه يعيش فيه ولا يشكل هدف ومحور اهتمام، بينما البناء الزماني فله اعتبارات مهمة تتماشى وأهدافنا في الحياة اليومية، حيث أن الزمن موجود وسيظل موجود ولكنه في نفس الوقت محدود إذا ارتبط ببعض أغراضنا وأهدافنا في الحياة، ويصور وجوده في الحياة اليومية ويربط وجوده وعدم وجوده بالزمن ما يحرص هنا على تأكيد أهمية البناء الزمني في العالم فهو مكون أساسي لا يمكن إغفاله عن الواقع، فالزمن هو الذي يتحكم ببعض الأهداف والأغراض التي يحاول الأفراد تحقيقها في الواقع.

وتحدثنا أيضا حول الهوية ويشير المؤلفان إلى أن العمليات الاجتماعية تشكل الهوية وهنا يتحدد الهوية الموجود في المجتمع ويخلق هوية الفرد ويضيف شأنه كتب هليش أن يعني هالما يسكنه مع الآخرين شأن العالم يصبح بالنسبة إليه الواقع المسيطر والمحدد وبذلك يعني الإنسان وثقلا اجتماعيا مشينك من خلال العالم الذي يعيش فيه¹¹، فهوية الفرد تتأثر من خلال العمليات الاجتماعية المختلفة المتمثلة في الاتصال والتفاعل والتبادل والتقاسم فيما يخص الأفكار والأفعال والتصرفات، وهي بالتالي تشكل الهوية الموجودة في المجتمع فالواقع الذي يسكنه الفرد مع الآخرين هو الواقع الذي قام ببنائه اجتماعيا من خلال تلك العمليات الاجتماعية، هذا الواقع برأي الباحثان يسيطر على أفكار الفرد وأفعاله ويحد منها ومن هنا يمكن أن نرى بأن المراهقات آتية هن محور دراساتنا بخصوص هويتهم حيث أنهم يشكلونها من خلال تفاعلاتهم ومشاركتهن واتصالاتهن المختلفة في الواقع الحقيقي أو عبر مواقع الشبكات الاجتماعية وبالتالي تمثل هذه الأخيرة مختلف العمليات الاجتماعية، فهن يبنون عالمهن مع الأفراد الآخرين في المجتمع الذي يرونه أنه يحدد ويسيطر على مختلف أفكارهن وأفعالهن وتصرفاتهن.

كما يرى المؤلفان بأن **الواقع شيء اجتماعي** وأن **تعلم الاجتماع المعرفة** بحيث **أن يحلل المعطيات التي يجري فيها ذلك ويتشدد بذلك على كل شيء من الحقيقة والمعرفة**¹² ، وقد تناولا في كتابهما أسس المعرفة في الحياة اليومية حيث يرى المؤلفان أن هدفهما هو التحليل الاجتماعي لواقع الحياة الاجتماعية، أو بعبارة أخرى التحليل الاجتماعي للمعرفة التي توجه سلوكنا في الحياة اليومية، ويضيف بيرقرش **أن شكل صورة عن الحياة اليومية تقدم نفسها كواقع يترجمه الناس شعليا أنه عالم متماسك وكهؤلاء اجتماع فإننا نأخذ هذا الواقع شعليا أنه موضوع تحولنا وأيضا مشطرا من المعطيات**¹³ ، ويشرح الباحثان في كتابهما أن، فالفرد يقوم بإعادة تشكيل الواقع الاجتماعي الذي يواجهه ويمنحه معنى معين وهذا كله عن طريق التمثلات الاجتماعية التي تحتوي على مجموعة من المعارف والاتجاهات ومواقف لوضعيات معينة، فتمثل الفرد لواقعه الاجتماعي يجعله يبني حقيقة اجتماعية مغايرة عن تلك التي توجد في الواقع عن طريق ما يكتسبه الأفراد في عالمهم من خلال أفكارهم وأفعالهم وتصرفاتهم اليومية.

3. بناء الحقيقة الاجتماعية عند جون سيرل Jean Searle:

يعتبر جون سيرل Searle أن أسس بناء العالم الاجتماعي ليست فقط في المعرفة والتفكير وإنما العالم الفيزيائي المادي، وقد تساءل جون رسيرل John R. Searle عن كيفية تحول الواقع الفيزيائي إلى واقع اجتماعي موضوعي، وقدم الإجابة عن هذا التساؤل في تصنيفه للحقائق الموجودة في الواقع الفعلي إلى صنفين: حقائق خامة توجد بشكل مستقل عن الهيئات الإنسانية، وهذا مهما كانت نيتنا أو قصدنا تجاهها. والحقائق المؤسساتية، مثل النقود، اللعب،... فهذه الحقائق لا توجد إلا بفضل المؤسسات الإنسانية وتتجسد بفضل قصدنا تجاهها، ومن هنا ينطلق ليتساءل عن دور اللسان في بناء الحقائق الاجتماعي، كما يعتقد جون سيرل أن الحقائق الاجتماعية، التي توجد بفضل المؤسسات الإنسانية تشترط شرطين أساسيين، وهما: أن التمثلات تشكل الجزء التأسيسي لها، وأن التمثلات تتوقف على اللسان، فطالما توجد ضرورة منطقية لارتباط الحقائق المؤسساتية باللغة، فإن أفكار ترتبط، طبيعيا، بالرموز والكلمات والصور والتي بدونها يستحيل التفكير فيها، فإذا لم يستطع الأفراد تمثل هذه الأحداث فإنها لا تستطيع أن توجد، وينتهي في الأخير إلى الاستخلاص التالي، والمتمثل في أن إنتاج الأحداث المؤسساتية يرتبط بمسألة السلطة¹⁴، أي أن العالم الفيزيائي المرتبط بالتفكير الواقعي يتركب من عدة خصوصيات يحاول إثارة تساؤلات من خلالها يحاول طريقة تشكل هذا العالم والطريقة التي من خلالها الانتقال من العوالم المختلفة، ويرى أيضا أن العالم الذي يحيط بنا والمعرفة التي نمتلك حولها يتم بناءها اجتماعيا، وقد جاءت هذه المساهمة في سياق الترحيب بفكرة أن العالم والحقيقة هي بناء اجتماعي، وأنه ينبغي الانتهاء من فكرة أن العالم موجود هناك، وينبغي البحث عن ما إذا كانت تصوراتنا مطابقة له أم لا¹⁵، وبالتالي هنا جون سيرل يؤكد على ضرورة التفكير بوجود العالم الحقيقي، الذي نبحت فيه عن مدى مطابقة تصوراتنا وتوقعاتنا له.

إن Searle يعالج موضوع الحقيقة الاجتماعية على مستويات ثلاث، هي وظائف الوضع، Status Functions، القواعد المكونة Constitutive Rules والقصدية الجمعية Collective Intentionality.

- وظائف الوضع: يرى بأن احتياجات الإنسان بإمكانها أن تفرض بعض الوظائف على سمات من العالم، كما أنه يميز بوضوح بين التصورات الذهنية للأفراد حول الأشياء، والأشياء في حد ذاتها فالحقيقة بالنسبة لأي فرد تمثل حقيقته لا الحقيقة، فهي متغيرة، متطورة وغير ثابتة، ولا يتوقف تحليل Searle عند مجرد التمييز بين الحقيقة التي يبنمها الفرد والحقيقة الخارجية، فبرأيه إذا كانت الحقيقة الخارجية مستقلة عن الفرد، فإنها في نفس الوقت موجودة في حياة الأفراد لأنهم أوجدوها، ومن هنا فإن الحقيقة الخارجية لا تكون كذلك بخصائصها الوجودية، وإنما بالوظائف التي ننسبها لها فإذا زالت الوظيفة تفقد الحقيقة حقيقتها، ويرى أيضا أنه مع مرور الوقت تدخل هذه الوظائف في إطار ثقافة المجتمع وتتحول إلى مسلمات بالنسبة للأجيال المتعاقبة، كما يشير إلى أهمية اللغة التي تحمل هذه الميزات بحيث يرى أن الأصوات التي نصدرها في الخطابات هي الوظيفة التي فرضتها الكلمات، وأن كل أشكال اللغات تحمل في طياتها الوظيفة القصدية والتمثيلية المفروضة عليها¹⁶.

نلاحظ أن Searle يحلل الحقيقة الاجتماعية، من خلال أن كل التصورات الذهنية للأفراد هي حقيقة اجتماعية متغيرة ومتطورة وغير ثابتة، وأن الأشياء المادية الموجودة والتي لها وظائف ننسبها لها، هي حقيقة وإذا زالت تلك الوظيفة تفقد حقيقتها، وبالتالي كلما استطاع الفرد إسناد الوظائف للأشياء تأكدت الحقيقة والعكس.

- القواعد التأسيسية: ينطلق Searle في تفسيره للقواعد التأسيسية من تمييزه بين ما يسميه الواقع الخام، والوقائع المؤسساتية، ويبني على ذلك أن هناك قواعد تنظيمية وقواعد تأسيسية، فتقوم القواعد التنظيمية بتنظيم النشاطات السابقة لوجودها (أي سابقة لوجود القواعد)، بينما تتميز القواعد التأسيسية أنها لا تقوم بالتنظيم فحسب، وإنما تشكل صورة الفعالية التي تنظمها أو تجعلها ممكنة، فالقواعد التنظيمية وجدت لتنظيم علاقات سابقة لوجودها بينما القواعد التأسيسية تعد مكونا لهذه العلاقات ومنظما لها في نفس الوقت، ويعتبر من جهة أخرى أن قبول القواعد التأسيسية شرطا ضروريا في انتقال الأحداث والوقائع من الخام إلى التأسيس¹⁷.

- القصدية الجماعية: يعتبر أن كل الأحداث الاجتماعية سواء كانت مؤسساتية أو غير مؤسساتية، تتضمن القصدية الجماعية، ويقترح أنه حتى في الحالة التي يكون فيها الإنسان في نشاط معين أو مهمة ما فإن قصديته تكون موجهة إلى الهدف الكلي وهذا لا يعني أنه ينكر وجود أشكال من القصدية في ممارسة المهارة أو ينكر بعض هذه القصدية تكون لا واعية، ويؤكد بأننا حقا نملك حالات قصدية يكون بعضها واعيا، وأكثرها لا واعيا، ويشكل كلاهما شبكة معقدة تحتجب هذه الشبكة في خلفية من القدرات (الكفاءات، القدرات، المواقف... وغيرها)، بحيث لا تكون هذه الخلفية في محيط القصدية، ولكنها تخترق شبكة الحالات القصدية كلية، وبمجرد فقدان الحالة خلفيتها تصبح عاجزة على العمل وغير قادرة على تحديد ظروف الاشباع، وفكرة القصدية التي يقول عنها أنها ليست في مجموع القصدية الفردية

فتشكيل القصدية الجماعية يتطلب خلفية معاني عن الآخر باعتباره مرشحا في الوكالة التعاونية، وهذا يقتضي معنى عن الآخر يتعدى مجرد كونه عوامل واعية، وإنما كأعضاء حقيقيين أو محتملين لأي نشاط تعاوني¹⁸.

4. نظرية البناء الاجتماعي للحقيقة وسياق الدراسات الاتصالية

قديمًا قال أفلاطون إن معرفة العالم الذي نعيشه، لا يعتمد فقط على ما نلمسه بحواسنا، ولكنه يعتمد على ما اتفقنا عليه في إطار الجماعة أو المجتمع حول المعاني المشتركة لهذا العالم من حولنا، وبالتالي نجد الحقيقة الاجتماعية عبارة عن بناء اجتماعي أو اتفاق اجتماعي حول الخصائص والصفات التي تميز هذه الحقيقة وتيسر على الناس إدراكها¹⁹، وإدراك الناس لهذه المعاني المشتركة يتم من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي حيث يشكل الاتصال أهم عنصر من أجل ضمان هذا التفاعل والتبادل، حيث أن الاتصال يشمل الفعل والاعتماد المتبادل والتأثير المتبادل للمعاني والعلاقات بالإضافة إلى كل العوامل المرتبطة بالموقف.

وإذا كان التركيز قديما على الاتصال الإنساني بصفة عامة وعلاقته ببناء المعاني في أذهان الناس والتأثير والتأثر، فإن وسائل الاتصال أصبحت الوسيلة الأساسية في تقديم هذه المعاني والتفسيرات إلى الناس، خصوصا أن الناس تبني أفكارها عن الحقيقة بينما لم تشاهدها فعلا، ولكنها اعتمدت على وسائل الإعلام في رسم معالم هذه الأفكار عن الحقائق، وبالتالي فإن الناس تبني المعاني أو الصور عن الحقائق الاجتماعية أو المادية التي لم تحسها، من خلال التعرض إلى وسائل الإعلام²⁰، حيث أصبحت تشكل دراسات البناء الاجتماعي توجها جديدا في سياق الدراسات الاتصالية، خاصة ما تعلق منها بدراسات الاتصال الجماهيري، ويمثل بالنسبة للبعض أنه توجه ما بعد الحداثة، فكما أن دراسات التأثير بمختلف فتراتها (المطلق، والمتعارض) تزامنت مع مجتمع الصناعة، والمجتمع الجماهيري وانتشار فكرة قدرة وسائل الاتصال الجماهيرية على إحداث التغييرات بصفة قوية وفي مدة زمنية قصيرة، فإن دراسات البناء الاجتماعي للحقيقة تتزامن مع مجتمع المعلومات، وفكرة أن المتلقي يتفاعل مع الرسائل الموجهة إليه وأن التأثير إذا حدث يكون من خلال سيرورات طويلة المدى²¹.

فعلى الرغم من أن Lukmann & Berger، لم يدرسا الكيفية التي يمكن للمعلومات أن تشكل أساس المعرفة في عالم الحياة اليومية، إلا أن الطريقة التي عالجا بها الحقيقة الاجتماعية، باستطاعتها تشكيل أرضية ومنهجية لمجال الإعلام والاتصال، وإذا كان اهتمام علماء الاجتماع والانثروبولوجيا وعلماء النفس الاجتماعي بدراسة كيفية بناء الحقيقة الاجتماعية قائم، من خلال البحث عن كيفية بناء الفاعلين الاجتماعيين لنظراتهم إلى العالم، وكيفية إدارة تأويلاتهم المختلفة، والكيفية التي يتحركون بها لمواجهة المشاكل التي تعترضهم فإن الإشكالية تطرح عندما نضيف أبعادا أخرى في إطار علوم الإعلام والاتصال، بحيث تتدخل عناصر إضافية تتمثل في وسائل الاتصال الجماهيرية، لأن الإجابات التي نحتاج إليها تتمثل فيما طرحه Mucchielli: هل نشأ أن نجيب على التساؤل الذي يشمئ لنا بمعرفة الكيفية التي يشمئ بها الآخرون عروض

المعنى Les offres des sens التي تتوجه إليهم²².

وبدأ الحديث عن الإعلام كباني للواقع الاجتماعي في الثمانينات، وهو مرتبط خاصة بانتشار ومعرفة سوسيولوجية، وبظهور اتجاهات في الدراسات الإعلامية تمزج بين موضوعات اتصالية بحثية ومقاربة السوسيولوجية الظاهرية، ويكمن السبب الآخر في التموضع النهائي لهذا الخط البحثي، في قربه من خط سيرورات التكيف الاجتماعي، وتتضمن الدراسات الإعلامية المتفرقة في هذا المجال، محاولات وصف تمثيلات الواقع الاجتماعي التي يبينها الاتصال الجماهيري في قطاعات وموضوعات معينة²³.

وعليه فقد ظهر اهتمام متزايد في مختلف مجالات الاتصال بدراسة علاقة وسائل الاتصال الجماهيرية وبناء الحقيقة الاجتماعية، وقد ركزت هذه البحوث على الزاوية التي تنظر من خلالها وسائل الاتصال الجماهيرية الأحداث، وكيفية تأويلها في صيرورة الإنتاج وعمدت بذلك إلى تحليل محتويات هذه المضامين من المفاهيم والفئات، النماذج التصورية المستخدمة في طرح مختلف الإشكاليات، وكيفية التعبير عنها²⁴، فمع تعدد البحوث التي تناقش دور وسائل الإعلام في بناء الحقائق الاجتماعية، ومع تباين آرائها وتعدد المداخل التي تدرس من خلالها هذا الدور، نحاول عرض الفروض التي تفسر دور وسائل الإعلام في بناء الحقائق الاجتماعية، وكيف تعتمد التزييف والتضليل للوصول إلى غايتها، مستنجرة في ذلك بترسانة القيم الاجتماعية والثقافية، المخزونة في التراث الثقافي وفي أساطير المجتمع المعني، وفي العقيدة الدينية، وهذه الفروض هي كالتالي:

- تعاضم دور وسائل الإعلام بحيث أصبحت تصيد الأدوار، أو تتصدر الأدوار الخاصة بنشر المعلومات أو توزيع المعرفة.
- لأسباب هادفة أو غير هادفة فإن عرض هذه المعلومات أو المعارف - حقائق، صور، قيم، لا يتفق في حالات كثيرة من الواقع الحقيقي وينتج عن ذلك نشر صور زائفة أو حقائق محرفة عن هذا الواقع.
- نظرا لتعاضم دور وسائل الإعلام وسيادتها في مجال عرض الحقائق ونشرها، فإن الأفراد في المجتمع يعتمدون عليها في رسم الصور الذهنية لهذه الحقائق المحرفة أو المتحيزة دون بذل جهود إضافية لمقارنة هذه الصور الذهنية مع الواقع الحقيقي.
- مع تأثير التراكم في النشر والإذاعة ومرور الوقت، فإن هذه الحقائق التي تنشرها وسائل الإعلام، تتحول إلى حقائق اجتماعية، يجتمع حولها الأفراد في المجتمع ويتفقون على رموزها ومعانيها.
- من خلال أساليب التحليل الثقافي يمكن الاستدلال على هذه الحقائق المحرفة، أو الصور الزائفة لكنها تسهم بمرور الزمن وبعد الاتفاق الاجتماعي حولها، تسهم في عمليات التغيير في المجتمع، ويتأثر بها أفرادها في البناء الثقافي والاجتماعي.

إن الاعتماد على وسائل الإعلام وحدها في البناء الاجتماعي للثقافة وتشكيل الصور الذهنية عن العوالم المحيطة بالأفراد في المجتمع، يترتب عليه عدد من النتائج السلبية التي لا يستهان بها على المدى الطويل²⁵، هذا ما دفع الكثيرين إلى تسمية وسائل الاتصال الجماهيرية بصانع الأساطير لأنها تقدم نظرة مشوهة للجريمة،

العدالة والقوانين، وبغض النظر عن الموقف من وسائل الاتصال الجماهيرية إلا أن دورها في بناء الحقيقة الاجتماعية لم يعد محل تساؤل لدى مختلف الباحثين، وإنما اختلافهم في درجة تأثري وسائل الاتصال الجماهيرية في بناء الأفراد لحقائقهم الاجتماعية ويزداد الاختلاف عندما تعرض مضامين وسائل الاتصال في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة، وبالتالي فإن تصوير وسائل الاتصال الجماهيرية لمختلف الحقائق الاجتماعية ينبغي أن يعكس على الأقل بعض خصائصه الأساسية²⁶، هذا على غرار المجتمع الشبكي الذي أضحى صانعا ومؤولا للحقائق الاجتماعية بشكل مثير للجدل في البحوث الإعلامية الراهنة، وتتجلى تلك الأهمية من تعقيدات هذا الفضاء الافتراضي ومن حجمه الهائل وصعوبة التحكم في المحتويات والمعلومات المتدفقة بشكل لا متناهي عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، وبالتالي أصبح أعضاء هذا البناء الافتراضي هم بنفسهم من يشكلون الحقائق ويؤولونها، وتعد هذه الظاهرة الإعلامية الجديدة للباحثين والمختصين، إشكالية جديدة في محاولة رصد واكتشاف البناء الاجتماعي الافتراضي ومدى تأثيره على واقع الحياة اليومية.

5. بناء المعاني لدى المجتمعات الافتراضية مستخدمي مواقع الشبكات الاجتماعية:

يرى كولي أن اقتراب الأفراد إلى بعضهم لا يتم على أساس الخصائص والسمات الموضوعية كما في الواقع، ولكن من خلال الصور التي يرسمها كل منهم عن الآخرين خلال عمليات التفاعل الاجتماعي ووصف كولي هذه الصورة أو الانطباعات باسم الأفكار الشخصية لأننا نكون أفكارا شخصية عن الآخرين في قطاعات مختلفة إذا نظرنا إلى كل من هذه القطاعات كجماعة لها عدد من الخصائص والسمات التي نرسمها في أذهاننا ونسقطها على الأفراد في هذه الجماعات (أصدقاء، زملاء...)، ونرسم من خلالها تفسيرات ذاتية لشخصيتهم الواقعية، يتم على أساسها التفاعل من الآخرين، أي أننا نكون في أذهاننا نظائر مماثلة لأشخاص حقيقيين في عقولنا وبالتالي تكون هذه الأفكار الشخصية أساس للتوقع بسلوك الآخرين أو من يبدو متشابهين معهم، وبهذا الشكل فإن الأفراد يجتمعون معا كأفكار شخصية في عقولهم - كل عن الآخر- ويصبح المجتمع بالتالي علاقة بين هذه الأفكار أو الانطباعات الشخصية وليس بين الصور الحقيقية²⁷.

وبالتالي نجد الأفراد يرسمون صورا للواقع من خلال نظام خاص للرموز والمعاني يكتسبه الفرد في العمليات الاتصالية المتعددة خلال حياته²⁸، ويقدم دون فولس ودينيس ألكسندر الذين أقاموا تحليلهم على أساس تعريف الاتصال بأنه السلوك الرمزي الناتج عن المشاركة في المعاني والقيم بمستويات مختلفة بين الناس وقدموا ثلاث فروض أساسية هي:

- تفسيرات الناس وإدراكهم للبيئة تعتمد على الاتصال، وفي معنى آخر فإن ما نعرفه عن عالمنا يرتبط أساسا بخبراتنا الاتصالية في هذا العالم.
- يتأثر الاتصال، ويؤثر في تحديد الذات، الدور والمركز وهذه المفاهيم هي التي تنشأ التوقعات عن البيئة وحولها، وهذا يعني أن تباين استخدامنا للاتصال في مواقف مختلفة ذو علاقة بإدراكنا لأنفسنا والآخرين في هذه المواقف، وهذا يشير إلى التعلم الثقافي، والتوقع بسلوك الآخرين.

• يشمل الاتصال عمليات تفاعل مقعدة، فهو يشمل الفعل، والاعتماد المتبادل والتأثير المتبادل، المعاني، العلاقات، بالإضافة إلى العوامل المرتبطة بالموقف، وبالتالي فإن وسائل الإعلام هي التي أصبحت الوسيلة الأساسية في تقديم المعاني والتفسيرات إلى الناس، خصوصا أن الناس تبني أفكارها عن الحقيقة بينما لم تشاهدها فعلا ولكنها اعتمدت على وسائل الإعلام في رسم معالم هذه الأفكار عن الحقائق، وبالتالي فإن الناس تبني المعاني أو الصور عن الحقائق الاجتماعية أو المادية التي لم تحسبها، من خلال التعرض إلى وسائل الإعلام²⁹.

لقد كانت وسائل الاتصال ولا تزال تشكل إحدى العمليات المركزية التي يحصل الناس عن طريقها على فهم ذاتي للحقيقة الموضوعية، حيث تشير الإحصائيات بأن فئة الشباب مثلا تتأثر بكل ما هو جديد وتنشئ علاقات اجتماعية افتراضية وتتفاعل مع المحتويات المتاحة، من الدردشة والفايسبوك والمحاورة الهاتفية Skype وغيرها، وتجذبها كل المضامين المتنوعة، وهذا ما يعطي دورا رياديا لوسائل الإعلام الحديثة الانترنت في بناء الواقع الاجتماعي للمستخدمين.

ففضل المواقع الإلكترونية، المتوفرة على الشبكة وخاصة مواقع الشبكات* الاجتماعية والتواصل الاجتماعي كالفيسبوك*، يوتيوب*، تويتر*، أصبح الفرد يرى مجموعة من الحقائق والوقائع الاجتماعية بالصوت والصورة والنص التي تؤثر في تشكيل السلوك والبنية الاجتماعية لدى الفرد المستخدم للانترنت وتساهم في تشكيل معاني معينة³⁰.

إن كلمة الواقع الافتراضي أو الحقيقة الافتراضية يقصد بها التمثيل شبه الواقعي للأشياء أو الأشخاص وبيئات تواجدها مضافا إليها فكرة التفاعلية الدائمة وبناء معاني اجتماعية مشتركة بين الأفراد من خلال الرموز واللغة التي يكتسبها الفرد من المجتمع ومن وسائل الاتصال الجماهيرية، ويشير أيضا إلى ما يسمى الانغماس في الافتراضي ويعني هذا الانغماس في الحقيقة الافتراضية إلى أن يصبح المستخدم مغمورا تماما في

* يرجع ظهور مفهوم الشبكات الاجتماعية إلى عالم الاجتماع جون بارنز في 1954.

* الفيسبوك Facebook، اسم يشير إلى دفتر ورقي يحمل صوراً ومعلومات لأفراد في جامعة معينة أو مجموعة معينة، ومن هنا جاءت تسمية الموقع، وتعتبر هذه الطريقة الشائعة لتعارف الأشخاص خصوصا في الجامعات الأجنبية حيث يتصفح المنتسبون في الجامعة هذه الدفاتر لمعرفة المزيد عن الطلبة الموجودين في نفس الكلية، أنظر: عمار عبد الرحمان، جمهورية الفيسبوك، السلطة الرابعة، دار بغداد للنشر والطباعة والتوزيع: الجزائر، 2014، ص 45.

* تأسس اليوتيوب من قبل ثلاثة موظفين كانوا يعملون في شركة (باي بال "PayPal") عام 2005، في ولاية (كاليفورنيا) في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتمد اليوتيوب في عرض المقاطع المتحركة على تقنية (أدوب فلاش)، ويشتمل الموقع على مقاطع متنوعة من أفلام السينما والتلفزيون والفيديو والموسيقى، وقامت غوغل Google عام 2006 بشراء الموقع مقابل (1,65) مليار دولار أمريكي، ويعتبر اليوتيوب من الجيل الثاني أي من مواقع الويب (2.0) وأصبح اليوتيوب عام 2006 شبكة التواصل الأولى حسب اختيار مجلة (تايم) الأمريكية، أنظر، Rowell, Rebecca, Youtube: The Company and Its Founders, UK Essential Library, 2011, p19.

* أخذ (تويتر) أسمه من مصطلح (تويت) الذي يعني (التغريد)، وأخذ من العصفورة رمزاً له، وهو خدمة مصغرة تسمح للمفردين إرسال رسائل نصية قصيرة لا تتعدى (140) حرفاً للرسالة الواحدة، ويجوز للمرء أن يسميها نصاً موجزاً مكثفاً لتفاصيل كثيرة. أنظر: Diaz, Ortiz, Claire. Twitter for Good: Change the World One Tweet at a Time; 1 edition; Jossey-Bass USA, 2011, p16.

عالم ثلاثي الأبعاد³¹، ولعلّ العالم اليوم يبني ويمثل مستوطنين جدد لعالم افتراضي داخل صراع مع أنصار العالم المعاصر، وستكون هناك ثورة جديدة نرى فيها من سيفوز...³².

ولا شك أن المجتمعات الافتراضية ما هي إلا مجموعات من المواطنين لا أكثر ولا أقل تربطهم تفاعلات قوية بفضل أنظمة ذكية (Inter média) داخل حدود ملموسة، رمزية كانت أو وهمية³³.

وإشكالية مفهوم الافتراضي (le virtuel) لا تزال قائمة، حيث هناك الكثير من المفاهيم خاصة ما تعلق بما يعرف بشبكة والانترنت ووسائطها المتعددة، فهناك "المفهوم الذي يرتبط بالمتغير التكنولوجي في حين يعتمد هذا المفهوم في المفارقة بين كل ما هو افتراضي وحقيقي، ولعلّ هذا الأخير (المفهوم) ينقسم إلى رؤيتين أساسيتين، تتضح الرؤية الأولى في تحقير كل ما هو افتراضي والذي يفهم على أنه متدهور أو متراجع عن الواقع، كما أنّ هذه الرؤية صورية وحماسية في الظاهر والتي من شأنها أن تحررنا من قيود المادة والمكان والزمان، إذن فهذه الرؤية تنظر إلى هذا المفهوم باعتباره مفهوما زائفا قريب من تكذيب للواقع.

أما الرؤية الثانية فتري لهذا المفهوم باعتباره وسيلة لتحسين الواقع، وأن تتجاوز حدود الزمان والمكان والمادة، فالافتراضي يصبح أوفى وأكثر ثراء من الواقع، ويستند المفهوم الثاني لهذا الطرح من المفهوم السوسيولوجي الذي يفرق بين كل ما هو افتراضي وما هو واقعي أو حقيقي، كما التبسيط والمشكوك، ومقاربة علماء الاجتماع هنا تتشابه مع مقاربة الفيلسوف الفرنسي المعاصر جيلز دلوز (Gilles Deleuze) الذي يقترح أن الافتراضي ليس شأياً محالاً يعتمد على التقدم التكنولوجي بالنسبة لـه، فالافتراضي يعارض الحقيقي الأوتومات الرأهنة³⁴.

فالمجتمعات الافتراضية هنا هي بمثابة مجموعات سوسيوثقافية الناشئة عن الشبكة*، يشارك فيها عددا من الأفراد عبر المحادثات العامة، والتي تكون قائمة بما فيه الكفاية لشبكة العلاقات الإنسانية المنسوجة في الفضاء الإلكتروني³⁵.

ويرى العديد من الباحثين في العلاقة بين المجتمع الواقعي والمجتمع الافتراضي حيث أشاروا أن هناك مصطلحين يوضحان طبيعة كل من المجتمعين وهما المكان والفضاء، ففي المجتمع الواقعي الأرض المادية هي مكان إلقاء أي الالتقاء وجها لوجه، بينما في المجتمع الافتراضي الالتقاء يتم عبر الفضاء الإلكتروني بأفكار وأراء كل شخص، ويطلق الباحثون على المجتمع الواقعي مجتمع الانطباعات الدافئة، بينما يطلقون على المجتمع الإلكتروني مجتمع الانطباعات الباردة حيث لا نجد فيها الحركات والإيماءات، فالمجتمعات الافتراضية تختفي بمجرد إغلاقنا للجهاز، عكس المجتمعات الواقعية تظل قائمة ومستمرة، إلا أن هناك ميزة في المجتمع

* التفسير السوسيولوجي أقرب إلى تفسير نشأة شبكات التواصل الرقمية، فغريزة الاجتماع لدى الفرد جعلته يسعى دائما إلى التعرف إلى الآخرين من خلال الحديث إليهم ومحاولة التعرف عليهم، حيث إن الاستمالة بالردشة بالكمبيوتر تساهم في خلق السلوك القبلي عبر الانترنت لدى الفرد، كما يسميها جانيس بليدل، فشبكات التواصل الاجتماعية الرقمية، كما يقول بليدل: "ليست تجاور مجموعة أفراد معزولين، وإنما هي هيكل اجتماعي حقيقي يستند إلى تماسك أعضائه عبر مستويين: داخل الجماعة من خلال المشاركة في استخدام اللغة، الرموز، الحالات العاطفية، بالمقابل مع العالم الخارجي، من خلال المنطق المانوي (MANICHENNE) حيث يتواجه النقيضان "هم" و"نحن"، أنظر: مرسي مشري، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، عدد 29 أبريل 2011، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011، ص 152.

الافتراضي لا تتوافر في المجتمع الواقعي تكمن في حرية اختيار وتحديد وقت التواصل مع الآخرين، فبمجرد ضغط الفرد المستخدم للانترنت على مفتاح الكمبيوتر يجد نفسه مع أفراد آخرين، ومن مزايا المجتمع الافتراضي، أن حدوده مفتوحة إذ يستطيع المستخدم أن ينتقل بينها وبدون تكلفة، يتصل بشخص ما في بلد ما ثم يتصل بآخر في بلد آخر في الوقت نفسه وبدون أي تكلفة مقارنة باستخدام الهاتف أو الانتقال المادي من مكان لآخر، ويكون الرد في الوقت المناسب للفرد³⁶.

ويهتم علماء النفس بالخصوص بدراسة ظاهرة تمضية أعداد متزايدة من الناس أوقات مطولة أما شاشات الكمبيوتر لقضاء حياة أخرى تحت هوية غير هويتهم المعتادة وذلك سواء عند المشاركة في فضاءات الدردشة أو ممارسة بعض الألعاب على الشبكة التي يتقنصون خلالها أدوارا وشخصيات مغايرة لشخصياتهم المعتادة ويقومون بأعمال غير مادية ولكنها ربما ذات أثر نفسي كبير، والسؤال المطروح يتعلق بالتأثيرات التي قد تحصل في الكائن البشري وفي إحساسه وعلاقاته وهويته عندما يقضي ساعات طوال في الإبحار على الانترنت في عوالم وأماكن افتراضية يلتقي فيها بطريقة تفاعلية مع أشخاص آخرين تحت هوية غير هويته³⁷.

لقد اهتم مونو وسيمون³⁸، بهذه المسألة اعتمادا على دراسة قامت بها عالمة النفس الأمريكية شري توركل Sherru Turkle، حول الأشخاص الذين يمارسون ألعاب الأدوار المتعددة الموجودة على الانترنت والتي يختار فيها كل مشارك شخصية أو دورا يمكنه من الدخول إلى عالم غير حقيقي، من العلاقات والممارسات والتواصل مع الآخرين، ويشير المؤلفان إلى أن الممارسة المكثفة لهذه الألعاب والمشاركة عموما في العوالم الافتراضية والتصرفات التي يتصرفها المشارك فيها يمكن أن تؤدي إلى فقدان المرجعيات والضوابط التي تنظم علاقاتنا في الحياة الحقيقية مما قد يؤدي إلى الاختلاط الافتراضي والواقعي ويطرح تساؤلات حول هوية الشخص الحقيقية: هل هي تلك التي يتقمصها في العالم الافتراضي أم هي تلك التي يمارسها في العالم المادي؟، فهل الذي يقترف جريمة قتل في العالم الافتراضي هو مجرم حقا ليس في نظر القانون لأنه لم يقم بعمل مادي مجرم وإنما أمام ذاته³⁹.

فإمكانية عيش حياة أخرى وتجارب مختلفة (تغيير الجنس، المركز الاجتماعي أو المهنة..) جزءا في غاية الأهمية من حياة بعض الأشخاص الذين تمحى لديهم الحدود بين الواقع المادي والواقع الافتراضي، بل إن الحياة الافتراضية تصبح لدى بعضهم أهم من الحياة العادية، وبذلك يمكن الانترنت من عيش نماذج مختلفة من الذات وهويات متعددة، ويقول الباحثان مونو وسيمون: **شأن هذا يشعل ظهور واقع جاسي بشركه وضع غامض لأنه واقع مختلف عن الواقع المعتاد، ولكنه ليس واقعا خياليا محضاً لأن الرسائل المتبادلة والأشغال المشجزة وهوت بمشركه آخرين⁴⁰.**

خلاصة

وختاماً نلمس أن بناء الواقع الاجتماعي، هو مجموعة من المعاني الاجتماعية والرموز التي يكتسبها الفرد من خلال احتكاكه مع الآخرين في المجتمع أو المحيط الخارجي، وهذه المعاني تساهم في تشكيل واقع معين كما أن التفاعلات الاجتماعية التي تتم بين الأشخاص عن طريق التواصل فيما بينهم، تخلق أفكارا وتمثلات معينة

عن الواقع، والتي تجعل البعض يعتقدون أنها حقيقية، فالتطور التكنولوجي الحالي ساهم بشكل واسع في تغيير السلوك والعلاقات الاجتماعية الموجودة في السابق، فإذا كانت وسائل الإعلام هي إحدى البناءات الاجتماعية، فإن انتشار مواقع الشبكات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي، هي التي تعمل على إبراز وكشف الحقائق الموجودة في المجتمع وتنمي في المستخدم تمثيلات معينة في بناء واقعه الاجتماعي من خلال ما يراه في العالم الافتراضي الذي يجعله فيما بعد لا يفرق بين ما هو حقيقي وواقعي وبين ما هو افتراضي، والذي أطلق عليه البعض العالم أو الفضاء البديل في الانترنت، أو البيئة الرابعة الفضاء الإلكتروني .

قائمة المراجع

- [1] بن روان بلقاسم، سوسيولوجيا الإعلام: القيم في المنظومة الإعلامية دراسة ميدانية، ط1، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2016.
- [2] دفلير ميلفين ل. وساندرا بول، روكيتش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، 1993.
- [3] عبد الحميد محمد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط4، عالم الكتب: القاهرة، 2015.
- [4] عبد الغاني طه نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع والقضايا)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2005.
- [5] عماد حسن مكاي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط7، مصر، 2008.
- [6] لعبان عزيز، علاقة الإدمان على المشاهدة التلفزيونية ببناء الأفراد للحقائق الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر3، 2007_2008.
- [7] لعباضي نصر الدين ، وسائل الإعلام واستراتيجيات البناء الاجتماعي للأزمات، مجلة الحكمة، العدد 6، 2011، تاريخ الزيارة: 2017/11/10، متاح على الانترنت: <https://nlayadi.com>
- [8] مصطلحات اجتماعية : التركيب الاجتماعي أو البناء الاجتماعي ، تاريخ الزيارة : 2016/12/02، <http://annabaa.org/nbanews/63/30.htm>
- [9] Berger Peter & Thomas Lukmann, La Construction Sociale de la Réalité, Didier Lesèche, texte PDF.
- [10] Fourati Abdelkarim, L'espace-temps sociologique de la proximité électronique.
- [11] François- Jean Marcotte, Communautés virtuelles et sociabilité en réseaux: pour une redéfinition du lien social dans les environnements virtuels, Esprit Critique. Revu de internationale de sociologie et de sciences sociales- Vol.05, No.04, 2003, www.espritlecritique.fr.
- [12] Lévy, Pierre, Cyberculture, Paris, Odile Jacob, 1997.
- [13] Moton Philippe, Michel, Simon, Habiter le cybermonde, les Editions de l'Atelier/ Editions Ouvrières, Paris, 1998.
- [14] Nafa Aziz, Aissa Merah, Les réseaux sociaux et les nouvelles forme de communication, Publications Colloque international sur (Les Espaces Publics au MAGREB), Sous La Direction de Hassan Remaoun et Abdelhamid Hania, Edition (CRASC) Oran, (Diraset) Tunisie, 2013.
- [15] Pierre Trad. Taminiaux. 2em édition. Armand Colin. 2002.
- [16] Searle John R, , La construction de la réalité sociale, édition Gallimard, 1989, tetxt PDF .

الهوامش

- ¹ حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، ط7، مصر، 2008، ص 146.
- ² ميلفين دفليرل. وساندرا بول، روكيتش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار المصرية للنشر والتوزيع، مصر، 1993، ص 343.
- ³ مصطلحات اجتماعية : التركيب الاجتماعي أو البناء الاجتماعي ، تاريخ الزيارة : 2016/12/02 ، <http://annabaa.org/nbanews/63/30.htm>
- ⁴ مصطلحات اجتماعية، نفس المرجع.
- ⁵ عبد الغاني طه نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث (الموضوع و القضايا)، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص 64.
- ⁶ Peter Berger & Thomas Lukmann. La Construction Sociale De La Réalité. Trad.Pierre Taminiaux.2em édition.Armand Colin. 2002. P35.
- ⁷ Peter Berger & Thomas Lukmann ,Ibid,p36
- ⁸ Peter Berger & Thomas Lukmann ,Ibid,p36
- ⁹ Peter Berger & Thomas Lukmann ,Ibid,p32
- ¹⁰ Peter Berger & Thomas Lukmann ,Ibid,p42.
- ¹¹ Peter Berger &Thomas Lukmann, La Construction Sociale de la Réalité,Didier Lesèche,texte PDF ,p07.
- ¹² Ibid,P07,Peter Berger &Thomas Lukmann.
- ¹³ Ibid,P07,Peter Berger &Thomas Lukmann.
- ¹⁴ نصر الدين ليعاضي، وسائل الإعلام واستراتيجيات البناء الاجتماعي للأزمات، بحث منشور في مجلة الحكمة، العدد 6، 2011، تاريخ الزيارة: 2017/11/10، متاح على الانترنت: <https://nlayadi.com>
- ¹⁵ عزيز لعبان، علاقة الإدمان على المشاهدة التلفزيونية ببناء الأفراد للحقائق الاجتماعية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر3، 2008_2007، ص 73.
- ¹⁶ عزيز لعبان ، المرجع نفسه ، ص 74_77 ،
- ¹⁷ عزيز لعبان ، مرجع نفسه ، ص 78 .
- ¹⁸ عزيز لعبان ، مرجع نفسه، ص 79 ، 80.
- ¹⁹ عبد الحميد محمد ، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة، عالم الكتب، ط4، 2015، ص 375.
- ²⁰ محمد عبد الحميد، نفس المرجع، ص 379
- ²¹ عزيز لعبان، مرجع نفسه، ص 86.
- ²² عزيز لعبان، مرجع نفسه، ص 86، 87.
- ²³ عزيز لعبان، مرجع نفسه، ص 87.
- ²⁴ عزيز لعبان، مرجع نفسه، ص 89.
- ²⁵ بلقاسم بن روان، سوسيولوجيا الإعلام: القيم في المنظومة الإعلامية دراسة ميدانية، القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2016، ط1، ص 63.
- ²⁶ عزيز لعبان، مرجع نفسه، ص 90.91.92.
- ²⁷ محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 376، 377.
- ²⁸ محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 375.
- ²⁹ محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص 379، 380.
- ³⁰ بلقاسم بن روان، مرجع سابق، ص 218.
- ³¹ بلقاسم بن روان، مرجع سابق، ص 218.
- ³² Aziz Nafa, AissaMerah, Les réseaux sociaux et les nouvelles forme de communication, PublicationsColloque international sur (Les Espaces Publics au MAGREB), Sous La Direction de Hassan Remaoun et Abdelhamid Hania, Edition (CRASC) Oran, (Diraset) Tunisie, 2013, p338.



³³ Jean-François Marcotte, Communautés virtuelles et sociabilité en réseaux: pour une redéfinition du lien social dans les environnements virtuels, Esprit Critique. Revue de internationale de sociologie et de sciences sociales- Vol.05, No.04, 2003, www.espritcritique.fr, p3.

³⁴ Abdelkarim Fourati, L'espace-temps sociologique de la proximité électronique, p6.

³⁵ Jean-François Marcotte, Ibid., p3

³⁶ بلقاسم بن روان، مرجع سابق، ص 219.

³⁷ Pierre, Lévy, Cyberculture, Paris, Odile Jacob ,p154, 1997.

³⁸ Philippe, Moton, Michel, Simon, Habiter le cybermonde, les Editions de l'Atelier/Editions Ouvrières, Paris ,P39, 1998.

³⁹ Philippe, Moton, Michel, Simon, op.cit. p136

⁴⁰ Trad. Pierre Taminiaux. 2em édition. Armand Colin. 2002